

## السيد ياسين

### نحن والعدو

من خلال الصراع الضاري مع العدو . وفي لهيب المعارك العنيفة التي تخوضها قواتنا المسلحة الباسلة ، وعلى ضوء السلوك الثوري لجماهيرنا المناضلة الواثقة من النصر النهائي بالرغم من مسن جسامه التضحيات ، تبدو أصالة الشخصية العربية ، وينكشف معدنها الحقيقي . لم تفلح الحرب النفسية المسعورة التي شنتها إسرائيل عقب حرب يونيو ١٩٦٧ ، والتي حاولت بكل الوسائل تشويه صورة الشخصية العربية ، وتزييف ملامحها وقسماتها الرئيسية ، في ان تجعلنا ننفذ ايماننا بفاعلية الشخصية العربية وايجابياتها .

ان الشخصية العربية تمثل نمطا اصيلا من انماط الشخصيات القومية . فهي شخصية عريقة صيغت عبر القرون ، على هدي نسق مترابط من القيم الانسانية . هذه الشخصية يسري في صميمها حب الحرية ، الذي يكشف عنه الرفض القاطع للغزو والقهر ، وكل محاولات السيطرة الاجنبية ، وذلك من خلال ممارسة النضال الثوري ضد الغزاة والمحتلين والمستعمرين . ان اجيالا وراء اجيال من الشعب العربي ، في سوريا ومصر والعراق ، في ليبيا وتونس والمغرب والجزائر ، والسودان ، ناضلت ضد الاستعمار الانكليزي والفرنسي والاطالي ، وجادت بأرواحها في سبيل ان يخلص التراب الوطني من دنس الاحتلال . ولذلك فالنضال العربي ضد التحدي الاسرائيلي ليس سوى حلقة من سلسلة ثورية موصولة عامرة بالكفاح والتضحية .

والشخصية العربية تجنح نحو السلام ، ويهيمن عليها التسامح ، وتمتلك القدرة الخلاقة على الانتفاخ على الشعوب الاخرى ، وعلى ممارسة الحوار الانساني ، من خلال ايمان راسخ برسالة تاريخية يستطيع الشعب العربي - كما فعل في الماضي - اداها للامم في تقدم العالم ، ولكن دون ادنى انتقاص من شان الشعوب الاخرى ، وبغير معاناة عقد التفوق على الآخرين . وهي شخصية قادرة على الابداع بكل صوره ، في العلم والفلسفة والدين والفن : اركان كل حضارة انسانية .

حقيقة ان التخلف الحضاري - الذي جاء مصاحبا للسيطرة الاجنبية - الذي هيمن بآثاره المدمرة على هذه الشخصية ، قد فرض عليها ان تتجمد قواها الخلاقة حقا من الزمان ، ولكنها بعد بداية عصر الاحياء الحضاري ، تواصل نموها من خلال نضال شاق ، وحين تصل الى مرحلة الازدهار الكامل ستكون اكثر قدرة على مجابهة الجيول ، واكثر استعدادا لمواجهة المفامرة .

ولكن ما الذي تمثله شخصية العدو ؟ انها شخصية مرضية ، يسيطر عليها الشك في الآخرين : في العرب ، وفي غير اليهود ، وفي المنظمات الدولية على كافة مستوياتها . شخصية يهيمن على نزعاتها الاحساس بالاضطهاد ، وفي نفس الوقت واقعة تحت تأثير التأكيد المتصخم على الذات ، والشعور بالتفوق على كافة الشعوب ، والاعتقاد في رسالة منفردة يمكن لليهود ان يقوموا بها دون غيرهم من شعوب العالم . وحين تقع هذه الشخصية اسيرة نظام سياسي

عدواني ، شعاره هو ضرورة استخدام القوة والردع ضد العرب ، ومؤسسة عسكرية بنت اسطورتها الموصومة على اساس انها لا تقهر ، فمن المنطقي ان يتدعم الوعي الزائف لدى الاسرائيلي العادي بانسه سليل « الشعب المختار » ، الذي يستطيع ان يجابه العالم كله ويتحداه : ومن هنا اهمية المعارك العنيفة التي تديرها قواتنا ضد العدو ، فهي في نفس الوقت الذي تصد فيه عدوانه ، تنسف الوعي الزائف السائد بين الاسرائيليين ، وتردهم الى الوعي الحقيقي الذي يضعهم في احجامهم الحقيقية بغير تهوين او تهويل .

وهناك من ناحية اخرى تعارض واضح بين النموذج الحضاري العربي والنموذج الاسرائيلي . ان النموذج الحضاري العربي يضرب بجذوره في تربة حضارة اسلامية انسانية اصيلة ، ترفض التعصب العرقي ، وتؤمن بإمكانية التعايش بين الاديان والشعوب ، وفي ظلها المديد عاشت جماعات وأمم شتى ، حيث صيغت نظرية للكون ، والمجتمع والانسان ، كانت رافدا من روافد الفكر الانساني الخلاق ، واسهاما للفكر العربي المبدع في بلورة الفكر العالي الحديث .

ولقد حاول الاستعمار الغربي من خلال معارك ومؤثرات ممتدة وشرسة - ضرب هذا النموذج الحضاري ، وذلك بغرض التجزئة على البلاد العربية ، واثارة النزعات الاقليمية والطائفية ، وتدعيم الخلافات السياسية في المنطقة . ولكن الشعوب العربية ، كتسبب في الوقت الراهن - وبالرغم من كل المحاولات الاستعمارية - الوعي الجمعي بأوضاعها الحضارية ، وبطرق تجاوزها ، وهي تمتلك القوة البشرية ، والقوة الحضارية الكامنة التي تسمح لها بالانطلاق .

اما النموذج الاسرائيلي ، فانه ينهض على اساس مجموعة من المبادئ الرجعية الاساسية : العنصرية التي تزعم ان اليهود افضل شعوب العالم ، ومن هنا اصرارهم على « النقاء اليهودي للدولة الاسرائيلية » وكفاحهم خارج اسرائيل ضد ما يطلقون عليه « ذوبان اليهود في الشعوب الاخرى » ! ويتبع ذلك بالطبع ممارسة التمييز العنصري ضد كل من هم ليسوا يهودا وضد العرب على وجه الخصوص . والتوسع المستمر على حساب الاراضي العربية ، تحفيقا لاساطير لاهوتية عن ارض الميعاد ، بما يتضمنه ذلك من ممارسة العدوان الدائم على العرب ، وعبادة القوة باعتبارها هي لفسة التعامل الوحيدة مع العالم .

والحقيقة ان المعركة بين الشخصية القومية العربية والنموذج الحضاري العربي ، والشخصية الاسرائيلية المريضة او النموذج الاسرائيلي الرجعي ، انما تمثل الصراع بين حركة التاريخ التقدمية التي تنهض على اساس توسع منظور النزعة الانسانية وتطويرها حتى يسع العالم الشعوب التباينة في تقاليدنا القومية ، سعيا وراء حضارة انسانية شاملة ، وبين الحركة الصهيونية الفاشية التي تتجسد في اسرائيل ، والتي تقاوم النزعة الغالبة لدى شعوب العالم نحو السلام . ومن هنا فقهر القوى الاسرائيلية والصهيونية وردعها لن يكون نصرا للانسان العربي فقط ، ولكنه ايضا سيكون اضافة ايجابية لرصيد الانسان في كل مكان .

الاهرام

٣. تشرين الاول